انحسار الإردوغانية في الشرق الأوسط

د. بسام أحمد أبو عبد الله*
أكاديمي وباحث من سوريا

* مدير مركز دمشق للدراسات الاستراتيجية ـ سوريا

لم يخفِ وزير خارجية تركيا أحمد داوود أوغلو في تشرين أول ـ 2009 الأهداف الحقيقية للسياسة الخارجية عندما ذكرها بصراحة بالقول: (كما كان الأمر في القرن السادس عشر، عندما كان البلقان العثماني يصعد، فإننا سوف نجعل مرة أخرى البلقان، القوقاز، والشرق الأوسط مع تركيا مركزاً للسياسة العالمية في المستقبل، ذلك هو هدف السياسة الخارجية التركية، وسوف نصل إليه)[1].

(1) Hillel Fradkin and Lewis Libby - Erdogan's Grand vision¤ Rise and decline World affains journal.org

وإذا كانت الأهداف الصريحة للسياسة الخارجية التركية في عهد رجب طيب إردوغان ليست مخفية أو سرية، إلا أنها كانت تتستر خلف شعارات الاسلام تارة، وقضية فلسطين تارة أخرى من أجل الوصول إلى اهدافها الحقيقية، ولخدمة المشروع الأميركي ـ الغربي ـ الصهيوني، الذي قال إردوغان نفسه أكثر من ثلاثين مرة أنه (النائب الثاني لمشروع الشرق الأوسط الكبير)[2].

(2) توثيق قام به ـ مركز دمشق للدراسات الاستراتيجية ـ 12/20/ 2013.

ظاهرة إردوغان، أو ما يعرف بـ (الإردوغانية) تبدو لنا في طريقها للانحسار، بعد سقوطها وانكشاف أهدافها الحقيقية في أكثر من ساحة عربية ـ ولا سيّما (سورية)، وفي الداخل التركي.

أولاً: اردوغان ومشروع الشرق الأوسط الكبير

في أدناه تصريحات لرئيس وزراء تركيا طيب اردوغان في مناسبات مختلفة، يعترف فيها بأنه شريك أساسي في مشروع الشرق الأوسط الكبير، وبحسب ما تقتضيه الاستراتيجية الأميركية، التي جل اهتمامها هو (أمن إسرائيل)

واستمرار تدفق النفط، وتقزيم إمكانات العرب والمسلمين، أوردناها، لأغراض التوثيق العلمي، ولتوفير منطلق لبناء هذه الورقة البحثية.

1 ـ بتاريخ 16 شباط عام 2004 في برنامج «teke tek» الذي بثته قناة «KANAL D» التركية قال: (حالياً، هنالك مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي وضعته أميركا كما تعلمون أو مشروع الشرق الأوسط الموسع، يعني يمكن أن تصبح مدينة (دياربكر) أيضاً مركز ثقل في المنطقة، ونحن علينا أن نعمل على إنجاح هذا المشروع).

2 ـ بتاريخ 25 حزيران من عام 2004 في قصر (جراغان)، وفي إجتماع معهد الدراسات الاقتصادية والاجتماعية التركية وصندوق مارشال الألماني والولايات المتحدة الأميركية، قال: (لأداء المهمة التي كُلفنا بها في الشرق الأوسط ودول الأورو ـ اسيا، ولكوننا أحد الرؤساء المشتركين لمشروع الشرق الأوسط الكبير).

3 ـ بتاريخ 25 حزيران 2004 صحيفة «YENYp AFAK» التركية، قبل بدء قمة حلف الشمال الأطلسي في أسطنبول، قال: (باشتراك دول الشرق الأوسط الكبير ودول شمال أفريقيا.. ونحن تركيا وإيطاليا واليمن وكرؤساء مشتركين، سوف نقوم بأداء واجباتنا أو ماهو مطلوب منا).

4 ـ بتاريخ 28 تموز من عام 2004 في حديث للإعلام في إيران، قال: (أنا كشريك ديمقراطي ضمن رؤساء مشروع الشرق الأوسط الكبير وشمال أفريقيا).

ستقوم تركيا بأداء مهمتها بشكل فعال، ضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير في هذه المنطقة

5 ـ بتاريخ 28 كانون الثاني من عام 2005 في حديث له مع «KLAUS SCHWAB» في مؤتمر دافوس، قال: (ستقوم تركيا بأداء مهمتها بشكل فعال، ضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير في هذه المنطقة، ففي كل لقاءاتنا وخطواتنا نتحرك وفق تطبيق هذا المشروع).

6 ـ بتاريخ 7 حزيران من عام 2005 لقاء مع صحيفة «ZAMAN» التركية في زيارته إلى الولايات المتحدة الأميركية، قال: (إذ تعلمون أننا كمجموعة رؤساء مشتركة ضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير، كُلفنا بهذا المشروع والمشروع لايشمل الشرق الأوسط فقط، ماسنقوم به بدأنا به بدول الجوار،

إذ نقوم حالياً بإجراء لقاءات في سوريا ولبنان وفاس (يقصد المغرب) وتونس، وقريباً سنتجه إلى الجزائر وإلى الأردن).

7 ـ بتاريخ 8 حزيران 2005 في مؤتمر صحفي في فندق «WILLAR» في الولايات المتحدة الأميركية، وفي اجتماع «Sea Island» (كُلفنا كتركيا وإيطاليا واليمن بمهمة ضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير، وأُنتخبنا نحن فقط كرؤساء مشتركين).

نحن كتركيا كما تعلمون كُلفنا بدور في مشروع الشرق الأوسط الكبير ومبادرة شمال أفريقيا، ونحن كرئيس مشترك مستمرون بتطبيق هذه العملية

8 ـ بتاريخ 10 حزيران من عام 2005 في إجتماع لجمعية سياسة أميركا الخارجية (FPA)، قال: (نحن كتركيا كما تعلمون كُلفنا بدور في مشروع الشرق الأوسط الكبير ومبادرة شمال أفريقيا، ونحن كرئيس مشترك مستمرون بتطبيق هذه العملية).

9 ـ بتاريخ 12 حزيران من عام 2005 في مطار (أسنبوغا) في أثناء عودته من الولايات المتحدة الأميركية، قال: (نحن لم نبدأ سير مشروع الشرق الأوسط الكبير في هذه الفترة، لأنه كما تعلمون تغير اسمه وأصبح مشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا، ونحن ضمن هذا المشروع كتركيا وإيطاليا واليمن بدأنا بالعمل كرؤساء مشتركين).

10 ـ بتاريخ 15 حزيران 2005 في مطار (أسنبوغا) قبل توجهه إلى لبنان، قال: (ضمن إطار مشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا، فإن تركيا ستقوم بوظيفتها كرئيسة مشتركة للمشروع).

11 ـ في 7 تموز من عام 2005 في إجتماع لمجلس الشؤون العالمية (WORLD AFFAIRS COUNCIL) في الولايات المتحدة، قال: (لتركيا كثير من الأعمال ستقوم بها مع الولايات المتحدة الأميركية، بسبب إنتخابها كرئيسة مشتركة في إجتماعات «sea island» لمشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا).

12 ـ بتاريخ 13 أيلول من عام 2005 في إجتماع لمجلس العلاقات الخارجية الأميركية في الولايات المتحدة الأميركية (CFR)، قال: (نحن نقوم بدور مهم في عملية مشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال

أفريقيا، إذ لأميركا دور مهم ستقوم به في منطقة الشرق الأوسط، ونحن جزء من هذا المشروع وحالياً نعمل عليه).

13 ـ بتاريخ 16 تشرين الثاني من عام 2005 في حديث له بعد إجتماع في مركز حزب العدالة والتنمية في أنقرة، قال: (سيلتقي وزير الخارجية «غول» في البحرين مع وزير خارجية الولايات المتحدة «كونداليزا رايس»، بخصوص مشروع الشرق الأوسط الموسع وشمال أفريقيا. وفيما يتعلق بالمشروع كوننا رئيس مشترك نقوم بدورنا وسنستمر به).

14 ـ بتاريخ 19 تشرين الأول من عام 2005 في اجتماع مع رجال الأعمال في مديرية شرطة «دنيزلي»، قال: (إذا كانت تركيا تقوم بأداء وظيفتها، لكونها رئيسة مشتركة في مشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا، فنحن حالياً نعمل على إتمام هذه المهمة).

في اجتماع لأعضاء حزب العدالة والتنمية في البرلمان التركي، قال اردوغان: (لذا فنحن حالياً مُكلفين بمهمة ضمن مشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا

15 ـ بتاريخ 29 تشرين الثاني من عام 2005 في اجتماع لأعضاء حزب العدالة والتنمية في البرلمان التركي، قال اردوغان: (لذا فنحن حالياً مُكلفين بمهمة ضمن مشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا).

16 ـ بتاريخ 28 كانون الأول من عام 2005 في برنامج ساحة السياسة، الذي بثته قناة ATV التركية، (إذ تعلمون، أننا أحد الرؤساء المشتركين لمشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال إفريقيا، لذا نحاول أن نبدأ بالمبادرة).

17 ـ بتاريخ 21 شباط من عام 2006 في إجتماع لحزب العدالة والتنمية في البرلمان التركي، قال:(دورنا في مشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا، ولكوننا رئيس مشترك، فقد كُلفنا بوظائف مهمة ولا سيّما في منطقة الشرق الأوسط، ففي كل تحركاتنا في السياسة الخارجية التي قمنا بها لهذا اليوم، تمت ضمن إطار تطبيق هذا المشروع، وكما أسلفت منذ قليل بعض هذه المشاريع هي أجزاء متناغمة ومكملة لنفس السياسة الخارجية ونفس الرؤية).

18 ـ بتاريخ 26 شباط من عام 2006 في مؤتمر حزب العدالة والتنمية في بلدة «أوسكودار» في أسطنبول (نحن من ضمن الرؤساء المشتركين فيما

يسمى مشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا، فنحن أصحاب مهمة في هذا وهكذا مهمة كُلفت بها تركيا لكونها أُنتخبت كرئيس مشترك).

19 ـ بتاريخ 4 أذار من عام 2006 في مؤتمر لحزب العدالة والتنمية في بلدة «توزلا» في أسطنبول، قال: (نحن أحد الرؤساء المشتركين لمشروع الشرق الأوسط الموسع).

20 ـ بتاريخ 4 أذار من عام 2006 في مؤتمر لحزب العدالة والتنمية في بلدة «بايرام باشا» في أسطنبول، قال: (نحن أحد رؤساء المشتركة لمشروع الشرق الأوسط الموسع، ونقوم بهذه المهمة).

21 ـ بتاريخ 28 نيسان من عام 2006 في دعوة غداء لبنك «لمصرفusb" في فيلا سعيد حاليم باشا، قال (لهذا السبب دخلنا لمشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا).

22 ـ بتاريخ 11 أيار من عام 2006 في نمسا، قال (نسمع بعض الانتقادات إذ يقولون لماذا انضميتم، ولماذا شاركتم في مشروع الشرق الأوسط الكبير أو الشرق الأوسط الموسع، ونحن نقول لهم سنشارك).

23 ـ بتاريخ 13 أيار من عام 2006 بحسب تقرير لصحيفة «zaman» التركية قبل التوجه لقمة الدول الثمانية إذ يقول (لكون تركيا أحد رؤساء المشتركين لمشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا فهي موكلة بمهمة كبيرة).

24 ـ بتاريخ 13 أيار من عام 2006 بحسب تقرير لصحيفة YENYpAFAK التركية قبل التوجه لقمة الدول الثمانية، قال (وفق آخر المستجدات في المنطقة نحن كتركيا يقع على عاتقنا مهمة كبيرة، لذلك أسعى لأقوم بزيارة إلى الولايات المتحدة، لكون تركيا من أحد رؤساء المشتركة لمشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا يجب علينا مقابلة أميركا).

25 ـ بتاريخ 20 أيار من عام 2006 في مطار «أسنبوغا» قبل التوجه إلى مصر. قال: (سنحاول خلال زيارتي إيجاد فرصة للتحدث عن ما سنقوم به ضمن إطار مشروع الشرق الأوسط الموسع وشمال أفريقيا).

26 ـ بتاريخ 30 أيار من عام 2006 في اجتماع لأعضاء حزب العدالة

والتنمية في البرلمان التركي، قال(تم قبول عضوية تركيا المشتركة ضمن مشروع الشرق الأوسط الموسع وشمال أفريقيا، ولهذا السبب بعد قبول عضويتنا قبلنا نحن بالإضافة لإيطاليا واليمن الرئاسة المشتركة).

27 ـ بتاريخ 15 تموز من عام 2006 في مدينة «أرتفين»، قال (تم دعوتنا كتركيا لأننا قبلنا الإنضمام إلى مشروع الشرق الأوسط الموسع، ونحن على هذا أساس قبلنا الرئاسة المشتركة).

28 ـ بتاريخ 27 تموز من عام 2006 في برنامج «larry king show» على قناة «CNN» الأميركية، قال: (كنا قد شاركنا في مشروع الشرق الأوسط الموسع وشمال أفريقيا قبل ذلك، وكُلفنا هنا برئاسة مشتركة).

29 ـ تاريخ 6 تشرين الثاني عام 2006 في برنامج «editor» على قناة «cnn turk» التركية، قال: (ماهي الدول التي تم دعوتهم ضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير؟ هنالك تركيا وكانت اليمن، إذ هنالك ثلاثة رؤساء مشتركين).

30 ـ بتاريخ 4 كانون الثاني من عام 2007 أثناء عودته من بيروت، قال: (نحن قبلنا بمشروع الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من أجل ذلك... وكُلفنا نحن كتركيا مع إيطاليا واليمن بالرئاسة المشتركة).

31 ـ بتاريخ 7 شباط من عام 2008 بحسب مقالة لصحيفة SÜDDEUTS CHEZEITUNG الألمانية، يقول فيها: (لهذا السبب انضمت تركيا لمبادرة مشروع الشرق الأوسط الموسع ومبادرة شمال أفريقيا والمدعوم من مجموعة الدول الثمانية أيضاً).

أولاً: سقوط الإردواغانية عربياً

ساهم تطوير العلاقات السورية ـ التركية بين عامي (1999 ـ 2010)، في زيادة وتوسيع شعبية حزب العدالة والتنمية بعد تشكيله الحكومة في تركيا، فلقد استفادت تركيا كثيراً في المجالين السياسي والاقتصادي، وأن المحافظات التركية القريبة من الحدود السورية دعمت حزب العدالة والتنمية أول مرة، وهي المعروفة بميولها اليسارية، ومع ذلك توجهت لدعم اليمين بسبب انفتاحه على سورية، العراق، لبنان، إيران، وروسيا.

يعتقد كثيرون بأن حزب العدالة والتنمية (AKP)، هو مشروع أمريكي، وأن قادة الحزب يمتلكون صلات وعلاقات عميقة مع الولايات المتحدة الأميركية، وكان الزعيم الاسلامي الراحل (نجم الدين إربكان) قد وصفهم بأنهم (الأطفال المدللون للقوى الامبريالية والصهيونية العالمية).

استناداً إلى ما سبق، فإن تقارب حزب العدالة والتنمية مع سورية، ولاحقاً المنطقة العربية جاء نتيجةً لمشروع الشرق الأوسط الكبير الأميركي: إذ يفترض بتركيا هنا أن تعمل على إبعاد سورية عن حلفائها، ودمجها في المنظومة الغربية عبر تركيا، ولذلك يجب غزو سورية من الداخل، وإقامة علاقات ولا سيّما مع أشخاص قريبين للدولة السورية، واستخدام الاستثمارات الاقتصادية من أجل إيجاد المتعاونين، وكذلك يجب جمع قاعدة معلومات سياسية، عسكرية، أمنية اجتماعية حول سورية قدر الإمكان، فضلاً عن قيام بتنظيف منطقة الحدود المشتركة من الالغام، وإلغاء الحدود، وتقديم الدعم لمجموعات الميليشيات الدينية داخل سورية.

الزعيم الاسلامي الراحل (نجم الدين إربكان) قد وصفهم بأنهم (الأطفال المدللون للقوى الامبريالية والصهيونية العالمية

كما كان لابد من إدخال أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وأسلحتهم وأموالهم، واتصالاتهم الالكترونية إلى داخل سورية، إضافة لقيام عناصر أجهزة المخابرات التركية، والأجنبية بالتسلل إلى سورية، والتحرك في الوقت المناسب.

بإختصار لقد كان المطلوب هو أن يتحول حزب العدالة والتنمية (AKP) إلى نموذج قائد، وأخ أكبر لـ ما يسمى بـ(الاسلام المعتدل)، وكذلك النموذج الاقتصادي ـ الاجتماعي للعديد من البلدان في العالم العربي، لقد لعب حزب العدالة والتنمية بزعامة إردوغان دور(حصان طروادة) للولايات المتحدة الأميركية، لقلب أنظمة الدول والحكومات التي ترفض أن تتحول إلى إلعوبة أميركية.

إن موقف حزب العدالة والتنمية المعادي لإسرائيل، ليس إلا كذبة كبرى ترمي إلى استغلال المشاعر الدينية للمسلمين، وتوظيفها للوصول للأهداف المخفية والمستترة، والحقيقية لسياسة إردوغان، وحزبه داخل تركيا، وفي المنطقة العربية.

إن موقف حزب العدالة والتنمية المعادي لإسرائيل، ليس إلا كذبة كبرى ترمي إلى استغلال المشاعر الدينية للمسلمين

مقابل هذا الدور الذي يلعبه حزب العدالة، والتنمية وتنفيذه لهذه المهمة سيحصل على:

أ ـ الدعم السياسي من (الحلفاء الغربيين)، والدعم الاقتصادي من (دول الخليج)، ولن يتأثر بالأزمة الاقتصادية العالمية.

ب ـ سيقيم الحزب نظاماً فيدرالياً يضم الجزء الكردي من شمال العراق، وشمال سورية، ومن ومن ثم تركيا لن تقسم، وستصبح قوة عظمى إقليمية.

ت ـ ستقام الدويلات الكردية الجديدة تحت حماية ودعم تركيا، وسيسمح لتركيا بإقامة (قواعد عسكرية) في شمال العراق، وشمال سورية كسلطة محمية عن طريق إقامة (قواعد عسكرية) في شمال العراق، وشمال سورية أو (مناطق محمية).

وستتحول تركيا بذلك إلى محور مركزي لكل البلدان التي تقودها أحزاب قريبة من حزب العدالة والتنمية، ولهذا فعل إردوغان وحكومته كل ما تستطيع في سورية لإنجاح هذا المشروع، بإستخدام كل أدوات القتل والتدمير والسلب والنهب والافتراءات، لأن نجاحها في سورية سيشكل مفتاح نجاح مشروعها في المنطقة، وولا سيّما بعد وصول حلفائها في مصر وليبيا وتونس إلى السلطة، الأمر الذي سيعزز هجومها الشرس على سورية لتحقيق التقدم المطلوب، وولا سيّما في ضوء تحالفه مع أنظمة عربية في الخليج (السعودية ـ قطر) وغيرها لإنجاز هذا الهدف المطلوب أمريكياً.

لقد شكلت المقاومة السورية الناجحة لـ(الشعب، والجيش، والقيادة) والدعم البارز لروسيا والصين وإيران وعدد من دول العالم، والقوى الوطنية اللبنانية والعراقية وفي العالم العربي، وكذلك الدعم الشعبي الواسع لسورية، سبباً رئيساً لاستحالة تطبيق مخطط حزب العدالة والتنمية.

إن غالبية الأحزاب السياسية والاتحادات ومنظمات المجتمع المدني والمنظمات الشبابية والمؤسسات الدينية المختلفة التركية، عارضت وانتقدت بشدة سياسات إردوغان، وقد أشارت كل استطلاعات الرأي العام داخل تركيا، إلى رفض شعبي واسع لهذه السياسات تجاه سورية.

فعلاً عن كل ذلك، فإن تردد الولايات المتحدة في خوض (حرب مفتوحة)

أن انكشاف دور إردوغان وسقوطه لم يكن فقط في سورية وإنما أيضاً في مصر

ضد سورية نتيجة التوازنات الإقليمية ـ والدولية، والرفض الواسع لأي حرب جديدة في المنطقة، وحاجة أميركا للروس ـ والإيرانيين قبيل انسحابها من أفغانستان، والأزمة المالية ـ الاقتصادية الحادة قد دفعت واشنطن للبحث عن مخارج سياسية مع الروس، ـ بعد استنفاذ كل السبل ـ والوسائل للإطاحة بالدولة السورية، واستنفاذ الأداة التركية ـ والخليجية ـ والإسرائيلية لتحقيق ذلك.

إن سورية التي رفعت من شعبية حزب العدالة والتنمية عربياً، وشكلت القاطرة للعلاقات العربية ـ التركية، قد لعبت الدور الأساسي في كشف وإسقاط الإردوغانية على صعيد المنطقة.

ما من شك أن انكشاف دور إردوغان وسقوطه لم يكن فقط في سورية وإنما أيضاً في مصر، إذ جاءت أحداث مصر (سقوط جماعة الإخوان المسلمين) لتُشكل الضربة القاصمة التي أطاحت بآخر أحلام الإردوغانية، ظهر ذلك عن طريق مواقفه السياسية تجاه الوضع الجديد في مصر، ووصف اردوغان للفريق السيسي بـ(الفرعون الجديد)، وتوصيفه لما حدث هو (انقلاب جديد)، وهجومه على المرجعيات الدينية من مثل (مرجعية شيخ الأزهر)، الأمر الذي أدى إلى توتر شديد في العلاقات بين مصر وتركيا كاد يصل إلى قطع العلاقات، إذ سحبت أنقرة سفيرها، وتم إلغاء عدد من الاتفاقيات التجارية، وقامت أنقرة أيضاً بطلب دعوة مجلس الأمن للانعقاد الفوري لبحث الوضع في مصر بعد فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة منتصف آب الماضي، وسعت لتجميد عضوية مصر في منظمة التعاون الإسلامي، والتأثير في الدول اللاتينية لإتخاذ مواقف ضد القاهرة[3].

(3) كرم سعيد، هل يتآكل النفوذ الإقليمي لتركيا؟، مركز الاهرام للدراسات السياسيةوالاستراتيجية، القاهرة، 9/9/2013.

علاوة على سورية، ومصر، فإن علاقات أنقرة قد توترت مع لبنان على خلفية مسؤولية تركيا عن خطف اللبنانيين العشرة، وقيام مجموعات لبنانية بخطف طيار مدني تركي ومساعده في بيروت في 9/ 8/ 2013.

علاقات أنقرة قد توترت مع لبنان على خلفية مسؤولية تركيا عن خطف اللبنانيين العشرة

وقد عبرت بغداد أكثر من مرة عن احتجاجها الشديد، مما اسمته تدخلاً تركياً في شأنها الداخلي، إذ برز ذلك عنطريق محاولات الإيقاع بين الأكراد ـ وحكومة المالكي، أو اللعب على البعد المذهبي بين مكونات الشعب العراقي،

وتوجيه الاتهامات المذهبية لرئيس الحكومة نوري المالكي، والدور الاستخباراتي المشبوه في الداخل العراقي.

فضلاً عن لذلك فإن العلاقات بين أنقرة، ودول المغرب العربي لم تكن أحسن حالاً، إذ فشل إردوغان في تحقيق نتائج تُرجى في أثناء جولته في شمال أفريقيا في شهر حزيران الماضي، إذ إن بعض النُخب السياسية في المغرب العربي، لاتزال تقف ضد أيّ تقارب مع تركيا، ففي الجزائر رفض نواب حزب العمال اليساري بقيادة (لويزة حنون)، الذي يضم (24) نائباً حضور خطابٍ ألقاه إردوغان أمام أعضاء البرلمان، وقال رئيس كتلة حزب العمال جلولٍ جودي: (لقد قاطعنا (الخطاب) تضامناً مع الشعب التركي، وتنديداً بموقف الأتراك حيال ما يسمى (الربيع العربي) في إشارة إلى دعم أنقرة للمجموعات الإرهابية المسلحة في سورية)[4].

(4) كرم سعيد ـ هل يتآكل النفوذ الإقليمي؟ مصدر سبق ذكره.

وتكرر موقف مشابه في الرباط حين قاطع اتحاد المقاولات المغربي زيارة إردوغان، الأمر الذي انعكس سلبياً على الحوار بين الفعاليات الاقتصادية والتجارية بين البلدين، ونظم أعضاء حركة (20 فبراير) المغربية مظاهرة وسط الرباط، ورفعوا شعارات مثل (لا لزيارة المجرم إردوغان) ورددوا شعار (تركيا الفاشية... لا عدالة لا تنمية)، تضامناً مع المحتجين الأتراك في (جيزي بارك) ورفضاً لسياسات إردوغان.

ثانياً ـ مشاكل الإردوغانية داخل تركيا

لا تقتصر مظاهر إنحسار الإردوغانية على الإقليم، بل بدأت مظاهر النجاح التي حققها إردوغان على الصعيد الداخلي تتكشف وتتآكل، بسبب فشل سياساته الخارجية وتحولها إلى تحديات حقيقية في الداخل التركي.

إذ شعر كثيرون داخل تركيا بخيبة أمل كبيرة تجاه حزمة الإصلاحات التي أعلن عنها إردوغان مؤخراً بالرغم من تسخيره كل وسائل الإعلام الموالية له، وكبار مستشاريه للدعاية لها، ووصفها بالإنجاز التاريخي الذي لم يسبق له مثيل قبيل صدورها، لكن مُنظريه، ومستشاريه صمتوا بعد إطلاق هذه الحزمة من الإصلاحات.

فحزمة إصلاحات إردوغان التاريخية تكونت من 18 مادة يمكن تقسيم

المستفيدين منها إلى أربع فئات هم: الأكراد، والأقليات الدينية، والمتدينون، والأحزاب السياسية، وفيما يتعلق بقانون الانتخابات فقد رأى كثيرون أن الغاية الأساسية لإردوغان، هو دعم حزبه في الانتخابات البرلمانية المقبلة عام 2015، التي سيخوضها من دون مشاركته، لأن نظام حزب العدالة والتنمية الداخلي يمنع إردوغان من الترشح لدورة برلمانية رابعة، ذلك أن تضييق الدائرة الانتخابية سوف يصب في مصلحة الأحزاب الكبيرة (حزب العدالة والتنمية) بشكل خاص، وحزب السلام والديمقراطية الكردي فقط، وأن الخاسر الأكبر سيكون حزب الحركة القومية الذي يستند في ترشيحاته إلى البعد الايديولوجي، علاوة على ذلك فإن اقتراح خفض المساعدات المالية التي تقدمها الدولة للأحزاب السياسية، لن يؤثر في حزب إردوغان الذي يعتمد على رجال أعمال اثروا وجمعوا مالاً وثروات في عهد حزب العدالة والتنمية، الأمر الذي يعني فيما يعنيه إضعاف منافسيه من أحزاب اليمين من أجل المزيد من المقاعد على حسابهم.

أما ما يخص الأقليات فقد كان نصيب سريان ماردين استعادة ملكية كنيسة وأراض محيطة بها، ومنح العلويين تسمية إحدى الجامعات باسم أحد أهم زعمائهم الدينيين (حاجي بكتاش ولي)، وكذلك قانون منع الكراهية الذي يفترض أن يخص الأرمن، الذين يُخونون من تيارات اليمين القومي المتطرف.

لقد نظر كثيرون إلى أن مقترحات إردوغان الإصلاحية الأخيرة، ليست إلا إشارات رمزية بعيدة عن الإصلاحات الجذرية التي تطالب بها الأقليات، من مثل: توفير أماكن التعليم الديني، وفتح مدارسها، وإعادة ممتلكاتها التي تم وضع اليد عليها بعد حملات تهجير المسيحيين أواسط القرن العشرين، وأما العلويون فقد بدا أن تجاهلهم كان مقصوداً، تعبيراً عن سياسة التمييز الطائفي التي يمارسها إردوغان داخل تركيا، والتي شكلت أيضاً عنواناً مخفياً لسياسته الخارجية، ولقد عبر عنها علناً في الانتخابات البرلمانية السابقة، عندما طالب اردوغان الناخبين بعدم التصويت لزعيم حزب الشعب الجمهوري (كمال كيليتشدار أوغلو) لأنه علوي!

طالب اردوغان الناخبين بعدم التصويت لزعيم حزب الشعب الجمهوري (كمال كيليتشدار أوغلو) لأنه علوي!

أما القضية الكردية، فإن الأكراد كانوا أكثر المعترضين على حزمة

الإصلاحات الأخيرة، إذ عبر صلاح الدين ديمير طاش زعيم حزب السلام والديمقراطية الكردي، عن رفضه التام للحزمة، معتبراً أنها تجاهلت قائمة من المطالب التي تقدم بها الحزب إليه، تضم أكثر من عشرين بنداً، وأن ما جاء في الحزمة ليس سوى القشور، ولن يساعد في دفع عملية السلام مع حزب العمال الكردستاني (PKK)، الذي اشترط تعديل قانون العقوبات المتعلق بتعريف الإرهاب وعقابه، كبادرة حسن نية من الحكومة تُشجع مسلحيه على ترك السلاح، وبث الأمل من أجل الانخراط في العملية السياسية مستقبلاً، وكذلك إقرار حق الأكراد في التعليم بلغتهم الأم في المدارس الحكومية، كمبادرة تفتح باب الحل المبني على دولة ثنائية القومية في تركيا.

حزمة إصلاحات حكومة إردوغان اكتفت بإعطاء الأكراد حق التعليم بالكردية في المدارس الولا سيّما فقط، ولم تُقارب قانون العقوبات أو تعريف الإرهاب، وسمحت شكلياً باستخدام ثلاثة حروف كردية غير موجودة في اللغة التركية في الحديث عن الأسماء الكردية، وكذلك سمحت بإعادة الأسماء الأصلية للقرى الكردية التي غيرها العسكر، بعد انقلاب الجنرال كنعان ايفرين عام 1980، تغيير قانون الأحزاب السياسية بشكل يسمح بتولي شخصين معاً زعامة الحزب السياسي مناصفة في الصلاحيات، وهو ما طالب به عبد الله أوجلان زعيم (PKK).

بعد أيام من إطلاق إردوغان لحزمة إصلاحاته السياسية، والانتقادات اللاذعة للقرى السياسية التركية لها، جاء تقرير منظمة العفو الدولية حول إنتهاكات حقوق الإنسان، وتجاوزات حكومة إردوغان في حملتها القمعية ضد متظاهري (جيزي بارك) في استانبول، والمدن التركية الآخرى، والتي أدت إلى مقتل ثلاثة متظاهرين، وفقأعيون أربعة عشر متظاهراً ـ ومتظاهرة نتيجة الاستخدام المفرط للغازات، فضلاً عن لصابة وجرح آلاف آخرين، ليُطيح بأجواء التفاؤل التي حاولت صحافة إردوغان أن تُشيعه بإن مسيرة الإصلاح الجدية عادت، بعد توقف دام ثلاث سنوات.

تكشف حزمة الإصلاحات الأخيرة، وتوقيت إطلاقها من إردوغان الأهداف الآتية:

1 ـ إعادة تحريض قاعدته الانتخابية ـ ولا سيّما (المتدينين) منهم عن طريق

قانون رفع حظر عمل المحجبات في المؤسسات العامة والحكومية، والذي دخل حيز التنفيذ فوراً ـ قبل غيره من الإصلاحات التي تحتاج إلى تصويت في البرلمان إذ يملك الغالبية، أو الاستفتاء الشعبي، وسوف يساعد ذلك إردوغان على ضمان أصوات في معركة الانتخابات الرئاسية منتصف العام المقبل 2014.

2 ـ لم يقطع إردوغان الصلات مع حزب العمال الكردستاني، وأبقى الباب مفتوحاً أمام المزيد من الإصلاحات مستقبلاً، وذلك ليضمن استمرار وقف إطلاق النار، واستمرار العملية السياسية مع الأكراد حتى موعد الانتخابات الرئاسية.

تركيز إردوغان على قضية الحجاب هو محاولة لدغدغة مشاعر القاعدة المتدنية

إن تركيز إردوغان على قضية الحجاب هو محاولة لدغدغة مشاعر القاعدة المتدنية، وإحياءً لورقة قديمة ـ جديدة، ولا سيّما بعد سقوط سياسته الخارجية، وظهور مؤشرات تراجع ـ واهتزاز اقتصاديين نتيجة خروج الكثير من الاستثمارات من تركيا، وارتفاع أسعار النفط، وتعثر حل القضية الكردية، وسجن العسكريين، أو ما كان يسميه (الانقلابيين)، وضعف المعارضة، ومن ثَمَّ زوال المشجب الذي يعلق عليه عادة الأخطاء ـ والتراجعات، والسياسة الفاشلة في الخارج ـ والداخل.

إن مؤشرات الداخل التركي تشير بوضوح إلى أن إردوغان قد أصبح همه الأكبر، ليس أن يصبح سلطاناً على منطقة تمتد من سورية إلى شمال أفريقيا، وإنما حسابات حزبية ضيقة على حساب مشروع كبير إصلاحي وطني، كان يدعي أنه جاء لتنفيذه، فإصلاحاته المقترحة مؤخراً ليست سوى جسرٍ لإيصاله للرئاسة على حساب الوطن ـ والشعب، وبطريقة مكشوفة ـ فاضحة، مما يعري خطاب إردوغان المخادع ـ والمنافق في الداخل والخارج، وأما الأكثر خطورة فهو أن إردوغان أصبح معزولاً عن الواقع السياسي، ويسيطر عليه مجموعة من مستشاريه، الذين (بحسبأوساط تركية عديدة) أقنعوه بعدم المضي بإصلاحات جذرية ـ قوية، وهو ما سبق له أن أعلن عن أنه ينوي القيام بها، ولكنه كعادته: يقول مالا يفعل، ويخالف إرادة رب العالمين في الآية الكريمة: (كَبُرَ مُقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون).

إردوغان أصبح معزولاً عن الواقع السياسي، ويسيطر عليه مجموعة من مستشاريه

ثالثاً ـ انكشاف حقيقة المشروع الإردوغاني ـ الاقتصادي[5]:

يدعي اردوغان وحكومته أنه فخور (بأنه ما لم تستطع تركيا أن تنجزه في80 عاماً، استطعنا أن ننجزه في عشر سنوات).

- بالتأكيد هذا كلام صحيح، فلقد استطاع اردوغان ونظامه أن يبيع تركيا في عشر سنوات، وأن يبيع ما تم إنجازه في ثمانين عاماً.
- إن البنية والعملية الاقتصادية تعتمد بشكل قوي على طابع النظام السياسي، ولقد أعطي اردوغان دعماً من الولايات المتحدة، وحلفائها الغربيين من أجل إعادة تصميم وهيكلة تركيا سياسياً واقتصادياً.
- على أية حال، فإن الخصخصة، وبيع المؤسسات الاقتصادية التركية وكذلك الموارد الطبيعية للبلاد تعود للانقلاب العسكري الذي نفذه الجنرال كنعان إيفرين في عام 1980، ولابد هنا من الإشارة إلى أن تركيا بدأت رحلة اعتمادها على الغرب في وبعد الحرب العالمية الثانية، ولكن الحكومات التي ظهرت بعد الحرب لم تكن تقبل بالمطالب الراديكالية للغرب فيما يتعلق بالخصخصة، وبيع الاقتصاد التركي للرأسمال الأجنبي، ما عدا المرحلة القصيرة لحكومة عدنان مندريس، وتغير ذلك الأمر تحت رعاية الجيش في انقلاب كنعان إيفرين عام 1980، ومرحلة تورغوت أوزال، وتانسو تشيللر، ولكن تحت رعاية حكومة إردوغان وصل الأمر إلى ذروته.
- ما بين أعوام 1980 ـ 1983، دعمت الولايات المتحدة نظام الجنرال كنعان إيفرين العسكري الذي قام بتحطيم كل القوى المعادية للإمبريالية، وقام بحل الاتحادات، والأحزاب السياسية، وسمح بالنشاط السياسي فقط لأولئك الذين حصلوا على ضوء أخضر من الولايات المتحدة مثل (تورغوت أوزال)، الذي كان يعمل موظفاً لدى البنك الدولي كمسؤول ملف صغير داخله، وأصبح في فترة النظام العسكري مدير هيئة تخطيط الدولة التركية إذ منع الإضرابات، وأعاد هيكلة إدارة الجامعات بإنشاء مجلس التعليم العالي (YOK)، والذي يوازي وزارة التعليم العالي، وأسس مئات المدارس الدينية بأموال السعوديين، وشجع

دعمت الولايات المتحدة نظام الجنرال كنعان إيفرين العسكري الذي قام بتحطيم كل القوى المعادية للإمبريالية

(5) محمد يوفا وبسام أبو عبدالله، (تقرير خاص عن تركيا)، إصدارات مركز دمشق للدراسات الاستراتيجية، دمشق، 12/20/ 2012.

الجنس، الرياضة، وفن كيف تصبح (مليونيراً) بسرعة، وتم إعداد دستور جديد، وشجع الرأسمال الأجنبي على حساب البضاعة الوطنية، والزراعة.

- بموجب هذه السياسات تم وضع البنية ولا سيّما بنظام الرأسمالية المتوحشة، وأصبح النظام السياسي والاجتماعي مناسباً، وجاهزاً لفتح الطريق لحاجات الرأسمال العالمي، ووضع الاقتصاد التركي تحت رحمة الولايات المتحدة وحلفائها.

- غيرت حكومة أوزال في عام 1984 القانون الذي لم يكن يسمح للأجانب بالمساهمة في المشاريع المملوكة من الدولة، وسمح أيضاً بالتداول الحر للعملات الأجنبية.

- بتاريخ 5 ـ 3 ـ 1995 وقعت حكومة تانسو تشيللر اتفاقية الاتحاد الجمركي المشترك مع الاتحاد الأوروبي، والذي جعل تركيا سوقاً مناسبة ومربحة للشركات الأوروبية.

- في بداية الثمانينات كان هناك 78 شركة أجنبية، ووصل هذا الرقم إلى 6584 شركة أجنبية في عام 2003، استناداً إلى المعلومات الرسمية للبنك المركزي التركي.

- ما بين أعوام 1980 ـ 2000 دخل تركيا 500 مليون دولار من الرأسمال الأجنبي، ووصل حجم هذا الرأسمال ما بين 2000 ـ 2004، والذي تغلغل في الاقتصاد التركي إلى 1,4 مليار دولار.

- في عام 1990 بلغ عدد الشركات الأجنبية الأكبر في الصناعات التركية 88 شركة، من أصل 500 شركة صناعية تركية، وفي عام 2000 وصل عددها إلى 131 وفي عام 2003 وصل إلى 147 شركة أجنبية، كانت الأكبر في قطاع الصناعات التركية.

- على أية حال، لم يكن هذا الرقم كافياً للرأسمال الأجنبي إذ إنه أراد المزيد، وبناءً على هذا الطلب قبلت الحكومة التركية أن تكون المرجعية القضائية لقطاع الأعمال في حال النزاعات، مرجعية دولية أي المحاكم (الأوروبية والأميركية)، التي أصبحت تملك السلطة النهائية للفصل بأية نزاعات في قطاع الأعمال.

- في عام 2002 وافقت تركيا على السماح للأجانب بالعمل في كل القطاعات الاقتصادية التركية بما في ذلك قطاعات الأمن الخاص، والتأمين، وفروع المتقاعدين، كما سمح للأجانب بشراء الممتلكات في أي جزء من البلاد، بما في ذلك في القرى، والمناطق القريبة من الحدود، ومن أجل مصالح الرأسمال الأجنبي زادت تركيا عدد المناطق الحرة إلى 19 منطقة في عام 2012.

- يوجد في تركيا حالياً 30335 شركة أجنبية، ويسيطر الرأسمال الأجنبي على 75% من بورصة استانبول، وعلى 50% من قطاع التأمين، و45% من البنوك، و70% من صناعة الكحول، و100% من صناعة التبغ، و90% من قطاع المواصلات، و100% من قطاع خدمات السيارات، و70% من صناعة السيارات، و70% من الصناعة الطبية، و70% من قطاع الشحن والتحميل، و75% من النقل الدولي، 70% من صناعة الدعاية، و68% من صناعة منتجات التنظيف، و50% من صناعة مياه الشرب، و45% من صناعة الزبدة، و24% من صناعة زيت الزيتون.

- قامت حكومة إردوغان ببيع 98 سفينة تركية، و38 مؤسسة حكومية مملوكة للدولة، و8 مرافئ، و37 محطة كهرباء، وعشرات مناجم الذهب، والفضة، والفحم، و68% من الأسهم في صناعات مملوكة للدولة، إلى الرأسمال الأجنبي.

- علاوة على ذلك، فإن ملايين هكتارات الأراضي، وآلاف المنازل (في بعض المناطق يوجد قرى بريطانية، وفرنسية، والمانية... الخ) تم تمليكها للأجانب.

- وأعدت حكومة إردوغان برنامج خصخصة سيتم بموجبه بيع كل الصناعات المملوكة للدولة، وكذلك الجسور والطرق السريعة والموانئ البحرية والجوية والسكك الحديدية والبنوك... الخ للرأسمال الخاص والأجنبي، وتجري مفاوضات حالياً مع شركة لوفتهانزا الألمانية من أجل ضم الخطوط الجوية التركية لها.

- مما لا شك فيه بأن هذه النشاطات، ووجود رأسمال أجنبي ضخم قد ساهم في تحديث وتطوير البنية التحتية وإغناء الحياة الثقافية، وكذلك

توسيع الخبرة في كيفية التعامل مع العالم الرأسمالي، فضلاً عن أن هذا الأمر زاد من النوعية والمهنية للعاملين ورفع مستوى التعليم.

- لكن الحقيقة العارية المكشوفة بقيت تتمثل في أن هذا التطور الاقتصادي استفاد منه مجموعة قليلة من السكان، في حين أن ملايين المزارعين والعمال والمدرسين ومالكي المحلات الصغيرة، والطبقة المتوسطة من رجال أعمال عانت بسبب هذه السياسات.

- والأكثر أهمية فإن تركيا لا تملك القوة، والسلطة فيما يخص مصيرها الأساسي، وتحولت إلى أداة بيد الرأسمال الأجنبي من أجل تنفيذ وتلبية مصالحه.

ومثال ذلك أن 85% من الـ(9) مليارات دولار المخصصة لـ (صندوق تشجيع الاستثمار والثقة بالدولة التركية) تم إعطاؤها لـ (تشاليك غروب) المملوكة لأحمد تشاليك وصهر إردوغان (بيرات البيرق).

4 ـ **الآفاق المستقبلية**: يعتقد كثيرون أن رجب طيب إردوغان نزل من القمة التي تربع عليها عدة سنوات نتيجة أصابته بجنون العظمة، فحولته إلى شخص غير قادر على تقدير الأمور بشكل واقعي ـ وبراغماتي ليصطدم بنتائج سياساته الحمقاء على صعيد الإقليم، ولا سيّما تجاه سورية، إذ أصبحت تركيا تواجه خطر تنظيمات القاعدة ـ وتفرعاتها على حدودها، وخطراً كردياً كانت تحاول تفاديه عبر عملية داخل تركيا لتستخدم هذه الورقة ضد سورية، وأن صورة حزب العدالة والتنمية التركي قد تضعضعت كثيراً على مستوى الإقليم، والداخل التركي، ولهذا فإن مؤشرات الافتراق قد بدأت تظهر داخل هذا الحزب بين رجب طيب إردوغان، والرئيس عبد الله غُل الذي يعمل بهدوء لإنشاء حزب سياسي جديد تحت اسم (حزب الحركة التركي) في ضوء معلومات تحدثت عن استئجار مبنى بـ 21 ألف دولار ليكون المقر العام للحزب، وبدت نقاط الافتراق واضحة بين الصديقين القديمين في ملفات (سورية)، الذي بدا أن عبد الله غُول بدأ يقاربه بواقعية وبراغماتية أكثر، وبالتسليم بهزيمة مشروع إردوغان في سورية، فضلاً عن موقفه تجاه التحولات في مصر والعديد من القضايا الداخلية التركية، مقابل استمرار عجرفة إردوغان ومكابرته في التسليم بالنتائج الكارثية لسياساته.

أن رجب طيب إردوغان نزل من القمة التي تربع عليها عدة سنوات نتيجة أصابته بجنون العظمة

ولهذا فإن انشقاقات قد نراها في المستقبل داخل حزب العدالة والتنمية بتأسيس (غُل) لحزب جديد ينأى بنفسه عن نتائج سياسات إردوغان ـ داوود أوغلو لينقذ ما يمكن إنقاذه باتجاه يستمر في خدمة الأهداف الأميركية ـ الغربية، وهو أمرٌ تشجعه واشنطن، ويحظى برضاها، عن طريق التحالف أيضاً مع الزعيم الديني فتح الله غولن، وتيار سياسي داخل حزب الشعب الجمهوري بزعامة كمال كيليتشدار أوغلو، وزعيم فيدرالية العلويين عز الدين دوغان.

إنحسار الإردوغانية في الشرق الأوسط يظهر واضحاً في انسداد إمكانيات التأثير التركي تجاه القضايا الساخنة في الإقليم

إن إنحسار الإردوغانية في الشرق الأوسط يظهر واضحاً في انسداد إمكانيات التأثير التركي تجاه القضايا الساخنة في الإقليم من (سورية، مصر، العراق، لبنان ـ ليبيا ـ . . .) وقضية فلسطين، وسقوط نظرية (صفر مشاكل) لصاحبها (أحمد داوود أوغلو) بالضربة القاضية الأمر حولها إلى مجال للتندر، والنكتة، وهو ما يفترض أن يعني تغيرات مهمة على الساحة السياسية التركية تعيد فتح المسالك الدبلوماسية مع دول الإقليم تمهيداً لترتيبات ما بعد سقوط الإردوغانية السياسية.